

الوضعية النيوليتيكية تعيد إنتاج بعض مظاهر الوضعية الأكثر بدائية للإنسان إذا قبلنا بالربط بين التطور البنيوي للمجتمعات وعلاقـات الإنسان بفضـائه المـغذـي له ، فإنـا سنلاحظ أنـ الـوضعـية الـنيـوليـتيـكـية أـعادـت إـنـتـاج بـعـض المـظـاهـر لـوضـعـية أـكـثـر قـدـماً بشـكـل لا يـقـدر : إنـها وـضـعـية العـهـد الحـجـري القـدـيم الأـسـفـل المحـاطـة بالـظلـ الكـبـير لـجهـلـنا . وهي مـدة شـاسـعة بـحـيث يـجـب بكلـ تـأـكـيد ، فإنـا نـحـسـ بـأنـ العـدـيد منـ السـمـات الـنيـوليـتيـكـية هيـ أـكـثـر « طـبـيعـيـة » ، لـنـ يـعـودـ أـمامـنا أيـ مـجـالـ لـلـتـعـجـبـ إـذـا ماـ سـجـلـنا ، كـونـ بـنـيـ كلـ عـالـمـ منـ بـيـنـ هـذـهـ العـوـالـمـ غـنـيـةـ مـنـ الـجـهـتـينـ بـالـتـاقـضـاتـ الدـاخـلـيـةـ . ذـلـكـ بـأـنـ التـكـاثـرـ الإـنـسـانـيـ (الـذـيـ نـتـجـ بـالـنـسـبةـ لـلـعـالـمـ الـقـدـيمـ مـنـ الـاـكـتـشـافـاتـ الـنيـوليـتيـكـيةـ) قدـ فـرـضـ عـلـيـهـ بـحـقـ التـواـصـلـ الـذـيـ يـرـفـضـهـ . وـ التـواـصـلـ مـعـنـاهـ التـقدـمـ - بـيـنـماـ يـقـيـ نـصـفـ الـكـرـةـ الـأـرـضـيـةـ اـ لـجـتمـاعـيـ الـأـخـرـ ، إنـهاـ تـبـدوـ لـيـ قـدـيمـةـ « بـاطـنـيـةـ بـالـنـسـبةـ إـلـىـ الـمـجـتمـعـ » ، وـ هيـ فـيـ قـدـمـ وـانـدـمـاجـيـةـ الـوقـائـعـ الـمـرـتـبـطـةـ بـالـزـوـاجـ الدـاخـلـيـ . فإنـهـ النـظـرـيـةـ قدـ تـسـمـحـ لـنـاـ بـتـصـورـ مـجـتمـعـ « مـتـحـضـرـ » يـخـلـفـ مـجـتمـعاً « مـتـوحـشـاً » . معـ اـحـتفـاظـهـ بـعـضـ بـصـماتـ هـذـاـ الـأـخـرـ . « العـيشـ بـيـنـ الـأـهـلـ » ، منـ أـمـاـ بـالـنـسـبةـ إـلـىـ الـفـرـضـيـاتـ الـتـيـ قـمـنـاـ بـتـفـحـصـهـاـ ، بـعـضـ الـعـانـصـرـاتـ الـمـتـعـلـقـةـ جـمـيعـهـاـ بـالـزـوـاجـ الدـاخـلـيـ ، بـالـنـسـبةـ إـلـىـ اـنـتـشارـ الـزـوـاجـ الدـاخـلـيـ أـولـاًـ : يـبـدوـ أـنـهـ كـانـ مـمـتدـاًـ عـنـ بـداـيـةـ الـتـارـيـخـ . غـيرـ أـنـ هـذـاـ أـصـلـ الـقـدـيمـ (الـمـاقـبـلـ تـارـيـخـيـ بـكـلـ تـأـكـيدـ) يـبـدوـ أـقـلـ قـدـماًـ مـنـ أـصـلـ الـزـوـاجـ الـخـارـجـيـ . الـرـابـطـةـ مـحـتمـلـةـ جـدـاًـ بـيـنـ الـزـوـاجـ الدـاخـلـيـ وـ « انـفـراجـ » دـيمـوـغـرـافـيـ مـعـيـنـ ، بـيـنـهـ وـبـيـنـ تـغـيـرـ فـيـ الـعـلـاقـةـ بـيـنـ الـإـنـسـانـ وـمـجـالـ تـغـذـيـتهـ ، كـماـ هـوـ الشـأـنـ بـالـنـسـبةـ إـلـىـ سـابـقـاتـهـ ، إـنـهـاـ تـمـلـأـ مـؤـقـتاًـ الـفـرـاغـاتـ الـتـيـ تـهـيـمـنـ عـلـىـ التـجـربـةـ الـإـنـثـرـوبـيـلـوجـيـةـ ،